تمثيليات مقتبسة ومترجمة عن الإنكليزية يسرى الأيوبي
1951 - 1953

التنيـــن

بيرل بك

(عواء كلاب... طرق على الباب)

لنج تان — من تراه يكون الطارق في هذا الليل البهيم؟ أفيقي يا أم أبنائي لنج ساد!

لنج ساد — (تفرك عينيها وتنهض مسرعة) سأفتح الباب، لست أخشى رجلاً.

لنج تان — أين؟ بسرعة طائشة كهذه، كم من رجل بأتم الصحة لقي حتفه قبـل أن يفـتح عينيه تريثي قليلاً.

لنج ساد — لقد استيقظ أبناؤنا الثلاثة فهيا نذهب جميعاً إلى الباب واحمل أنـت الـسراج واصغ بسمعك جيداً (صوت امرأة من وراء الباب).

المرأة — أوالدي وأمي ميتان حتى لا يسمعان كل هذا الطرق؟

لنج ساد — إنها ابنتنا الكبرى "لايوتا" سأفتح الباب، ولكن لم هي خارج فراشها الوثير في مثل تلك الليلة المظلمة؟

لايوتا — (تشهق وتبكي) جئنا من براثن الموت، لم يكـن بعيـداً عنـا سـوى عـشر خطوات..الخادمان والكاتب دفنوا تحت الأنقاض، مخزن زوجي هدم نـصفه؛ لم نحمل بأيدينا سوى أرواحنا عارية.

لنج تان — ولم لم تكن أبواب المدينة مغلقة؟

زوج الابنة — وهل تغلق أبواب المدينة دون السماء؟

لنج تان — ماذا تعني؟

زوج الابنة — ضربت بالقنابل.

لايوتا — سفن السماء جاءت صباحاً إلى المدينة، لم نبالي بها فلقد كنـا بملهـاة عنهـا بشؤوننا.. وناداني أحد الكتبة لأشاهدها، ولكن الله شاء إنقاذي فلقد كنت ألـف الطفل بقماطه ولم أجر كعادتي. وزوجي كان نائماً وطفلي الآخر يلعب قرب قدمي، أما الخادمتان فأسرعتا خارجاً تشاهدان المراكب، وسمعت صوتاً قويـاً

جعلني أقفز عن الأرض التي اهتزت تحت قدمي وعويلاً يملأ جوانب الفضاء وصرخت. وهدمت منازل وترجرج جناح من مخزن زوجي وسـقط كومـة على الأرض ودفن تحته بضائعنا والكاتبان، وأحدهما متزوج حديثاً والآخـر أمينا ولن نجد مثله كاتباً آخر.

الزوج (بيأس) وما الفائدة! حتى ولو وجدنا رجلاً شريفاً أمينا فلن نجد محلاً نستخدمه به.

لنج ساد سنهيء فرشاً لكم جميعاً "جين" أوقدي النار وحـضري الـشاي. "أورشـيد" أضيفي شيئا من البرغل إلى الماء ودعيهم يأكلون وينامون، وفـي الـصباح نصل إلى تفاهم بصدد هذه الحوادث.

جين (لزوجها) أليسوا الأعداء؟

لايوار من يكون غيرهم؟

جين هذا يعني فقدان أرضنا واحتلال مدننا.

لايوار هذا يعني موتنا جميعاً.

جين ولكن يا زوجي لم لا نملك ما يملكه غيرنا في هذا العالم، لم لا نملك بنـادق وطائرات ومعدات حربية؟

لايوار لم نكن نبالي بهذه الأشياء إلا كما نبالي بالألعاب، إنها ليست بذات قيمة لشعب كشعبنا لا يفكر إلا في أن يعيش.

جين إذا كان العالم يلعب بهذه اللعبة الشريرة فيجب أن نتعلم نحن اللعب بها أيضاً.

لايوار لا يزال يعد هذا عندنا حماقة.

جين لقد قرأت في كتاب عن فظائع الحرب، إنها الشهوة والقتل والدمار وحتى أكل لحوم البشر، إنها الوحشية تمتلك زمام النفوس بعد فقدان السلام فكيف ننجـو من كل هذا؟ وكيف بوسعنا أن ننقذ طفلنا الذي لم يولد بعد؟

لايوار هذا ما كنت أفكر به. نعم لا يجب أن نقيم هنا سنذهب حيث لا تصلنا يد العدو وستتمين أيام حملك هناك.

جين نترك منزل والدك؟ وماذا سيقول؟

لايوار لن أخبره حتى أجد جواباً لما سيقول.

جين سأفعل كل ما تشير علي به يا لايوار.

لايوار وسأفعله أنا معك يا جين.

(الطرف الآخر من الغرفة)

لنج ساد فهمت الآن ماذا حدث للمدينة يا إلهي! ليس الأمر هيناً كما تـصورت، لـيس مجرد مخزن يتهدم.

لنج تان أخبرني يا "ودلين" ماذا حدث للناس.

ودلين إرباً إرباً كأنهم هم الآخرين قد صنعوا من تراب، هنـا ذراع، هنـاك رأس، قدم، ساق، أمعاء، قلب، دماء، ومالا يحصى من العظام المهشمة.

جين (صائحة من طرف الغرفة) ولكن لم؟ لم هذا؟

ودلين من يدري؟ السماء فوقنا وحدها تدري.

لنج ساد (باكية) كلنا يعلم كيف يكون الموت، يأتي رقيقاً كحلم يستل وعـي العجـوز الفاني، ودواء يبرئ السقيم المعذب، أما هذا النوع من الموت الوحـشي فلـم نعرفه ولم يسمع عنه آباؤنا وأجدادنا.

لنج تان سأذهب غداً لمشاهدة المدينة بنفسي.

* * *

لنج تان من هناك؟ لايوسان!

لايوسان والدي دعني أذهب معك إلى المدينة.

لنج تان ولكن لم تذهب معي؟ لم أسمع بأن اليوم يوم عيد.

لايوسان (بحزن) أريد أن أذهب معك.

لنج تان تعال إذن. لعنة الآلهة عليك. لست أريد مشاحنة مع أحد اليوم.. كـل شـيء تغير في هذه المدينة.. صامتة كالقبور.. أين الضحكات والموسـيقى تـصدح ليل نهار؟. أين النساء الجميلات؟ لست أرى أحدا. تعال يا بنـي معـي إلـى حانوت الشاي ولننفس عن أنفسنا بكوبين، ونسأل هذا النـدل عـن الأمكنـة المدمرة.

لنج تان (للندل) ألا تدلنا على الأمكنة المدمرة أيها الرجل الطيب؟

الندل (ينفجر باكياً) كان لي كوخ مجبول بالتراب والطين يستند إلى قـصر رجـل غني، ومنزله وكوخي ذهبا. قتل الجميع ووحدي نجوت. ليتني لم ابق بعدهم، بعد زوجتي وولدي الصغيرين، هلما معي سترون ما يفتت الأكباد.

صوت امرأة إنه هو، قدمه، ألست أعرف قدم زوجي، أهذا كل ما بقي لي من رجلي. مـن كان البارحة ملء الروح والأنظار؟

لايوسان آه (يصفر وجهه ويكاد يغمي عليه)

لنج تان ما بالك يا بني؟ سيغمى عليك. إن هذا أكثر مما تحتمل فلست ألومك، تعـال نعود إلى دكان الشاي، ونبه أعصابك بكوب ساخن، لا تخجل يا بني! لـيس عيباً أن تجبن نفس الإنسان الشريف من مثل تلك المناظر، ويغـضي.. إنهـم لوحوش ضارية من لا يشعرون بما حدث لأناس أبرياء مسالمين.

(في دكان الشاي)

(أحد طلاب المدارس يقف على إحدى الطاولات ويخطب. ضجة أناس).

لنج تان ماذا يبتغي هذا الطالب؟

الطالب أنتم يا من تحبون بلادكم أصغوا إلي! لقد قذفت طائرات العـدو علـى بلـدنا الآمنة القنابل فتهدمت المخازن والبيوت، وقتلت الرجال والنساء والأطفـال. ابتدأت الحرب فعلينا أن نقاوم حتى الموت، وثم يقاوم أبناؤنـا مـن بعـدنا. أصغوا إلي أيها المواطنون الشجعان، إن انتصر العدو الآن فلن ينتصر بعـد اليوم. لقد احتلوا من أرضنا مائة ميل ولكننا لن ندعهم يأخذون المائـة ميـل الأخرى. فإذا احتلت رغما عنا فسندافع عن المائة ميل الثانية.

حاربوا! حاربوا! يا مواطني الشجعان.

لايوسان وغيره من الشباب (بحماس) سنحارب سنحارب.

لنج تان (مادا يده صائحاً) كيف أحارب وبماذا أحارب؟ وأنا من السلاح أعزل؟ ولكن أين الطالب؟ لقد نزل واختفى قبل أن يسمع سؤالي.

(ضجة شديدة الرجال يغمغمون بهلع)

السفن، سفن السماء! لقد عادت!

الندل (لنج تان) يا سيدي خير لك أن تختبئ كما فعل الآخرون.

لنج تان وماذا يفيد الإختباء من مثل هذا الشر المستطير؟ ولم لا تختبئ أنت نفسك؟

الندل لست راغباً في النجاة يا سيدي. بعدما فقدت كل شيء عدا نفسي.

لنج تان تعال ياولدي.. دعنا نذهب إلى المنزل، بعيداً عن هذا الجحيم (في الطريـق) نعمت الحياة في الأيام الماضية. كنا نعيش في أرضنا والأجنبي في أرضـه.. أما اليوم! فمن يجرؤ ويقول "كان الأجنبي طيباً معنـا؟" إن مـا حـدث مـن الويلات اليوم ليطغي على كل عمل طيب. إن إرادة الآلهة قد وضعتهم بعيدين عنا فيما وراء البحار، فلم يحطمون إرادة الآلهة فيأتون إلينا ويسلبوننا أمننا.

(في المنزل)

لنج تان أبنائي جميعاً رجالاً ونساء اصغوا إلي! لن أستطيع إنقاذكم لأني لا أستطيع أن أنقذ نفسي من هذا البلاء الجديد. فيما مضى حميتكم من كل الـشرور، مـن

المجاعة والفقر وحتى المرض، ومن جشع المرابين وقسوة الرؤساء، أما اليوم فليس لي ما أفعله لأجلكم. أنتما يا ولدي الكبيرين رجال، وأنت يا زوج ابنتي أكبر سناً فماذا أنتم قائلون؟

زوج الابنة ليس هناك طريقة لإنقاذ نفسي وليس لي إلاّ أن أستغفركم لما حملتكم إياه مـن مؤونة إعالتي وعائلتي، إنني لست إلاّ رجل أعمال.. تاجر.. ولكن اليوم مـع من أتاجر؟ من كان مثلي لا يستطيع العيش إلا في أحضان السلام.

الابن الأكبر هناك أمران علينا اختيار أحدهما عندما يأتينا هذا البلاء من السماء : إمـا أن نتجنبه ونهرب بعيداً عنه، أو نحتمل وقوعه صابرين. ورأيـي فـي هـذين الأمرين هو ماتراه أنت يا والدي.

الابن الأوسط أما أنا فسأتجنبه.

لنج تان لو كنت رجلاً بغير أرض لذهبت أنا الآخر، لو كنت شاباً فمن المحتمـل أن أتجنبه، لن أقول شيئاً لمن يفضل الهجرة، أما أنا فسأبقى حيث ولدت وحيـث أعيش مهما يحدث.. إن تهدمت المدينة أو لم تهدم، إن انتصر شـعبنا أو إذا انهزم سأبقى هنا وأحافظ على أرضي. دع من يريد الذهاب ومن يفضل البقاء معي ليبقى.

الابن الأوسط أتلومني يا والدي.

لنج تان لست ألومك يا بني. كلا بل إنني أفضل ذهابك فإن قتل جميـع مـن سـيبقى فستكون من يحمل اسم العائلة فلا تموت. وكل ما أرجوه منك أن تعود عندما تنتهي الحرب فترى فيما إذا كنا أحياء أو أمواتاً. وإذا قتلنا فلتحـرق لأجلنـا البخور الطيب وترث من بعدنا الأرض.

الابن الأوسط أعدك يا والدي.

لنج تان (لنفسه) "أول ويلات الحرب" ومع من تذهب يا ولدي.

الابن الأوسط إن هناك أربعين طالباً وطالبة قدموا من المدن المحتلـة يـودون الاعتـصام بالجبل ريثما تنتهي الحرب، سيمرون بنا غداً فأذهب وجين معهـم .. ولقـد فهمت منهم أن سبب هذه الحرب هو طمع العدو بخيرات بلادنا.

لنج تان هذا ما كنت أعتقده. إنها الأرض، الأرض أعمق ما يطلبه الإنسان. إن كـان هناك من يملك أرضاً واسعة وغيره أرضاً ضيقة فهنـاك الحـروب. فمـن الأرض يأتينا الطعام وعليها نبني المأوى، فإن كانت الأرض ضيقة فالطعـام قليل والمأوى صغير، ومن ثم يصبح عقل الإنسان وقلبه صغيرين أيضاً.

الجميع (بغير حماس، غير مصدقين ومتثائبين) هذا صحيح يا والدنا.

لنج تان أظنكم متعبين والوقت متأخر فهيا إلى فراشكم.

(يذهب الجميع ماعدا لنج تان وزوجته)

لنج ساد لست أفهم لماذا تذهب جين بعيدا.. فمن يعتني بها إذا ما حلّت أيامها، وكيـف يولد حفيدنا في مكان ما في الأحراش كأرنب بري. فإذا كان ولدنا الأوسـط يريد الذهاب فليذهب، ولكني لست أوافق على ذهاب جين معه.

لنج تان خير لجين الذهاب بعيدا. فالعدو أصبح منا قريباً كما سمعت اليـوم، وجـين بارعة الجمال فليس من الحكمة ابقاؤها في المنزل ومن المحتمـل أن تلجـه أقدام غريبة.

لنج ساد لست أخاف رجلاً، دع قدم رجل تطأ العتبة وسترى من يكون أسرع إليه أنـا أم الكلب.

لنج تان مهما يكن من أمر فعلى المرأة أن تتبع زوجها حيثما يذهب.

لنج ساد لست أوافقك على ذلك فجين تحمل في أحشائها حفيدك وواجبها نحوك يـأتي في المقام الأول.

لنج تان لا أظن ذلك يا عزيزتي.

لنج ساد (تصمت)

لنج تان لم أنت صامتة؟ تعالي لست أريد سواك في المنزل. لن تعرف عينان سـوى عيني جمالك، ولن يسلبك أحد مني. لست أريدك جامدة باردة.. أريـدك كمـا أنت ناراً تدفئ وتشتعل، وأحب لسانك الزلق الحاد حتى عندما يتحول علي.

* * *

الراوية تمر الأيام ولنج تان وأهل قريته يحرثون أرضـهم ويـستنبتونها الأرز ثـم يحصدونها وقد غطوا رؤوسهم بقبعات ربطت إليها أغـصان مـن الـشجر ليخدعوا بها أنظار طائرات العدو.

(إنهم يجاهدون بوسائلهم الخاصة، إنهم يحرثون الأرض ويناجي لنج تان نفسه فيقول):

لنج تان لمن ستكون هذه الأرض يا ترى بعدما يحتلها العدو؟ ولكن لا ان الأرض لن تكون ملكاً للعدو؟ إنها ملك لمن يحرثها ويزرعها ويحصدها ولـن يغتـصبها أعداء الأرض جميعاً بكل وسائلهم الجهنمية مني.

الراوية ويأتي طالبان إلى القرية ويقف أحدهما على صخرة يحمس القرويين للـدفاع عن الوطن.

الطالب يارجال القرية! يا إخوتي الكبار أصغوا لما أقوله لكم، العدو يقترب وعلـيكم جميعاً أن تعلموا ماذا سيحدث حين وصوله، لا تتوقعوا سلاماً وأمنـاً، فلـن يكون منهما شيء. سيحكمونكم ويستعبدونكم، سيـضعفون قـواكم المعنويـة والجسدية بالأفيون، سيسلبونكم كل ما تملكون. في أي مكان يحلون، يهدمون البيوت والمخازن والحوانيت، يسرقون الطعام والمؤونـة، يقتلـون الرجـال والأطفال ويغتصبون النساء.

لنج تان كل الجنود تفعل ذلك.

فلاح ساذج لقد رأيت مرة رجلاً أجنبياً. إن له شعراً وعينين كعيوننا ولو لم يكن أقـصر منا قامة وفي ساقه عوج لكان يشبهنا في كل شيء.

الطالب (لزميله) إننا نضيع أنفاسنا سدى على هؤلاء الأقزام. إنهم لا يفهمون معنـى الوطن، لا يعنيهم من يحكم بلادهم إذا وجدوا ما يأكلون وما يشربون.

لنج تان (غاضباً) لم يكن حكامنا أخياراً. لقد حملونا الضرائب الباهظة وأكلوا لحومنا، واليوم في محنتنا تركونا وذهبوا يختبئون في مكان أمين، فما هو وجه التغيير في أن يحكمنا ويأكلنا نمور أو أسود؟

(ناظراً إلى الأرض ومتكلماً بصوت خافت)

ألست أحب هذه الأرض؟ أليست هذه الأرض وطنـي؟ الرؤسـاء والـشباب وهؤلاء الطلاب هجروا الأرض لإنقاذ أنفسهم كما فعل ولدي وجين. ولكنـي أحببت أرضي حباً لم أشأ معه التخلي عنها، وسأبقى بقربها حتى الموت، فهل يحب رجل قط بلاده أكثر من حبي لها.

* * *

الراوية وجاء العدو. إن مالقيه لنج تان و ما شهده بعينيه وما سمعه بأذنيه كان أفظـع مما تصور. كان التنين ينفث سمومه حيثما يسري، سلب كـل شـيء المـال والزرع والدواجن والأعراض، ولكنه لم يـستطع أن يـسلب شـيئاً واحـداً "الأرض" لقد بقي لنج تان يزرعها ويحصدها. ساهم ولداه الأكبر والأصـغر في تلك الحرب، ذهب الصغير إلى البلاد الحرة التي لم يصلها قدم الاستعمار وهناك أصبح قائد فرقة. تبعه الأكبر ينصب الشراك فـي الأرض للأعـداء يصطادهم بعدما هلكت زوجه "أورشيد" فريسة بين أيديهم، وبعد أن مات ولداه من الجوع والمرض، ولم يبق في المنزل سوى لنج تان وزوجتـه. فـضاق

بالوحدة وأرسل إلى ولده الأوسط وزوجته جين يطلب إليهما العودة إلى المنزل. وعادا ثلاثة، فلقد ولدت جين طفلاً جميلاً.

حضر لنج تان في منزله غرفة سرية أخفى فيها ما يحب أن يخفي عن أعين الأعداء، كمية كبيرة من الذخائر حصل عليها ولداه من الأعداء، لحوم الحيوانات التي ذبحها لئلا يدفع الضرائب، معظم ما تنتجه أرضه من الأرز. وأصبحت الغرفة ملجأ لأولاده عندما يكونون في القرية ولزوجة ابنه جين وطفلها.

لقد أعلن الجميع حرباً خفية على الأعداء بمساهمة أهل القرية، كل بوسائله الخاصة. وهكذا انتصر لنج تان بالرغم من قوة الأعداء وضعفه وبقيت له الأرض في الحرب وفيما بعد الحرب.

(في المنزل)

(جين حزينة لأنها لم تبقى في الأراضي الحرة فهناك كان بوسعها أن تقوم بواجبات كثيرة).

جين (لنفسها) لو بقيت وزوجي في الأراضي الحرة أما كنا نقوم بأعمال عظيمة؟ ولكنه آثر الرجوع إلى هذا المنزل. إنني اليوم كبقية النساء لا عمل لي سوى الحمل والولادة، طفلان على يدي وطفل في أحشائي.

لايوار مابك يا جين إنك لست كعادتك.

جين لا شيء.

لايوار بل هناك شيء ما أتظنين نفسك قادرة على إخفاء ما بنفسك دون أن أعرف!

جين (وهي تصب الشاي) لا يجب أن تراقبني هكذا.. أرجوك.

لايوار لست أراقبك. عندما تختلفين فهناك إحساس خفي في أعماقي يشعرني بهذا الاختلاف. جين أخبرني ألست زوجك؟ لا تخفي عني ما يحزنك. ألم نتعاهد على أن لا يخفي أحدنا عن صاحبه من أمره شيئاً. ماذا! دموع! أرأيت بأن ظنوني لا تخطئ.

جين (مكفكفة دموعها) اليوم أحسست بهذا الشعور، لم لا أكون أفضل من امرأة قروية.. لو بقينا في الأراضي الحرة أما كان من الممكن أن أعمل عملاً عظيماً؟ أنا وأنت على السواء أليس هذا أفضل من أن أعيش وراء هذه الجدران وأنجب الأطفال؟

لايوار (بثبات وهدوء) أو أمر هين أن تنجبي لي الأطفال يا جين؟

جين (تصمت)

لايوار (بحرارة وهدوء كأنه ينتقي الكلمات المناسبة) حسب رأيي قمنا بأنجع عمـل ممكن. ما أسهل أن يذهب الإنسان إلى الأراضي الحرة! ما آمن الحياة هناك! أن نحصل على البنادق والرجال، ونكمن لقوافل الأعـداء لأسـهل طريقـة للمساهمة في الحرب. وكلنا نساهم في رد الأعداء واغتيالهم وتعريض أنفسنا للخطر أفلا تجدين في هذا عظمة يا جين؟

إن مافعله أخي الصغير لأقصر طريق لنيل الشهرة والعظمة.. ولكن لا شهرة في أن نبقى هنا وندافع عن أرضنا، لا عظمة ولكن هذه طريقتنا فـي شـن الحرب. أن نبقى حيث نحن ولا نحاول الهجرة (فترة سكون) من يدري؟ ربما كسب عملنا هذا الشهرة يوماً من الأيام ولكني لـست أدري فيمـا إذا كانـت تعنيني ما دمت محافظاً على الأرض!

جين (بحزن) ولكن الأرض ليست ملكنا. إنها ملك العدو ما دام يحكمنا.

لايوار كلا بل الأرض ملك الذين يحرثونها ويزرعونها ويحصدونها. إن العـدو، إن أجلانا عن أرضنا وأرسل من بني جلدته مـن يحـرث الأرض ويزرعهـا ويحصدها.. فعندها.. ولكن رغم ذلك فلن ندعه يفعل وسنحاربه إلى النهاية.

جين (تصمت)

لايوار وأنت يا جين تساهمين أعظم مساهمة، ولا تدرين أنك عنـدما تلـدين طفـلاً تضيفين رجلاً إلى المحافظين على الأرض فهل يقوم بهذا العمل غير النساء؟ نحن الرجال بوسعنا أن نعمل في الأرض ونستنبتها طعامنا ولكن هل نستطيع إنجاب رجال يأخذون مكاننا ويحافظون عليها؟.. هذا عملكـن أنـتن.. ومـا أعظمه من عمل! فلولاكن لما كانت الحياة ولما استمرت دورة العالم. تعـالي يا حبيبتي جين فكل طفل تأتين به إلى العالم تحكمين به الأرض وتحـافظين عليها!

* * *